المقدمة

الكسل مرض عام ، وبلاءٌ شامل ، خيم على النفوس ، وجثم على القلوب ، وسكن في الأعصاب ، ومشى في العروق ، وامتزج بالدماء ، كثر ضحاياه ، وتعددت رزاياه ، فلم ينج منه أحد ، ولم يسلم منه بشر – إلا من رحم الله تعالى – أمات الهمم ، وأطفأ الحماس ، وجلب الذل ، وزرع الخذلان . .

الكسل هو الوباء الوخيم ، والخطر الجسيم ، والداء العضال ، سرطان في الدم ، وفيروس في القلب ، وشلل للجسم ، وجُلطة للفكر ، بل قد يكون أكثر بأساً وأشدَّ تنكيلا .

الكسل داء مقيت ، وخلق ذميم ، ومرض قاتل ، وخطر فتّاك ، يقتل الهمم ، ويفتك بالعزائم ، ويحطم الإرادة ، إن استشرى في أمةٍ فك عزمها ، وكسر شوكتها ،

وأوهن قواها ، وهبط بقيمتها ، وأذل كرامتها ، وأرغم أنفها ، وأضاع مجدها ، وطمَّع فيها عدوَّها ، وإن تلبس به إنسان ، أضعف قواه ، وهبط بمستواه ، وأثقل جسده ، وأتلف همّته ، وعطل فكره ، وجمَّد عقله ، وقطع إبداعه، ومحق رزقه ، فهو مجلبة للذل ، مدعاة للهوان ، مصيدة للشيطان .

والكسل .. سمة ذميمة ، وخصلة لئيمة ، وصفة بغيضة ، ويكفي دليلاً على خزيه، وتأكيداً على مقته ، أنه صفة المنافقين ، وعلامة المارقين ، وديدن المتحذلقين ، خصوصاً في إقبالهم على رب العالمين ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى** ﴾ .

[النساء : ١٤٢]

فهم أشداء في الباطل ، أقوياء في المعصية ، سباقون إلى الشهوات ، مسارعون إلى الملذات ، إذا ذُكرتْ لهم الدنيا ، وحُدثوا عن الشهوات ، خفقت قلوبهم ، واستبشرت نفوسهم ، وقويت هممهم ، وإذا ذُكرت لهم

الصلاة ، وحدثوا عن العبادة ، كأنما ثُلِّجتْ أعصابهم ، وجُمِّدتْ عروقُهم ، وتسمرت أقدامهم ، التصقوا بالتراب ، واثاقلوا إلى الأرض ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ .

[الزمر : ٤٥]

وكلمة الكسل لم ترد بلفظها في القرآن إلا مرتين ، وهي في وصف المنافقين وكسلهم عن الصلاة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ . [النساء : ١٤٢]

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ . [التوبة : ٥٤]

وحينما وردت في السنة ، وردت في موضوع الصلاة نفسه ، والغرض ذاته ، فتأمّل قوله ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاثَ عقد إذا نام ، بكل عُقدةٍ

يضربُ عليك ليلاً طويلاً ، فإذا استيقظَ فذكر اللهَ ، انحلت عقدة ، وإذا توضأ ، انحلّت عنه عقدتان ، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان» . [مسلم : ١٢٩٥]

وحينما تتأمل هذه النصوص تتجلى لك فائدةٌ لطيفة، ونكتة طريقة ، وهي : أن ارتباط الكسل بالصلاة دليلٌ على أنها من أشق التكاليف على الإنسان ، فهي العبادة المتكررة في اليوم والليلة ، وهي التي يحرص الشيطان غاية الحرص على التثبيط عنها ، أو التشويش على صفائها ، وهي التي قد تتعارض مع كثير من الرغبات والشهوات والمحبوبات ، كالانشغال باللذائذ أو حب الخلود إلى النوم ، وما إلى ذلك من العوائق التي تقف في طريق المصلي ، والتي هي كثيرة وكبيرة إلا على الخاشعين ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ ، فالذي ينجو من الكسل في الصلاة فلن يكون بحال من الأحوال كسلان في غيرها من العبادات ، بل إن المصلي النشيط ، لن يكون كسلان في حياته كلها ، فإن الصلاة تملأ حياته

حيوية ونشاطاً ، وتوثباً وطموحاً .

وقد ورد الكسل في كلامه ﷺ على سبيل الدعاء في السلامة منه والنجاة من شرّه، وقد كان ﷺ كثيراً ما يردد هذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل » . [صحيح النسائي : ٥٠٣٥]

لأن الكسل إذا حلّ بشخصٍ حطمه ، وإن سكن بقلب أوهنه ، وإن نزل بقوم فساء صباحهم ، وتعس مساؤهم ، وخاب رجاؤهم ، وتلاشت آمالهم ، وتهافتت قواهم ، وتفككت عراهم .

الكسل . . طريق الشيطان المفضل ، وسبيله المحبب ، ومطيته الناجحة ، وبضاعته الرابحة ، يحقق به المكاسب ، ويُحَصِّل به المآرب ، ويصنع به العجائب ، يحول به بين المرء وقلبه ، والمسلم وإيمانه ، والمصلي وصلاته ، والعابد وعبادته ، والمجتهد واجتهاده ، والدول وطموحها ، والأمم وفلاحها ، والشعوب وصلاحها .

كم من طالب مجد قعد به الكسل ، وكم من خاطب

فوزٍ نكص به الخمول ، وكم من طالب علم حرمه الوهن ، وكم من عاشقٍ للجنة خذله العزم ، وضيعه التقاعس ، وكم من صاحب مالٍ أفقره التهاون ، وأذلته الاتكالية ، وكم من رب أسرةٍ ضاعت أسرته، وفسد أبناؤه ، وشقيت بناته ، نتيجة لكسله ، وعاقبة لإهماله ، وجزاءً لتهاونه .

وإن من أعظم الرزايا ، وأشد المصائب ، برودُ الهمم ، وفتورُ العزائم ، وتدني الآمال، وكسل الأجسام ، وخور الأفكار ، وهو ما ابتليت به أمة الإسلام اليوم .

لذلك سنعرض بإيجاز لبعض مظاهر الكسل وأنواعه ، ودواعيه وأسبابه ، ومضاره ومخاطره ، وطرق الوقاية منه ، والتخلي من ربقته ، سائلين المولى جل وعلا أن يأخذ بأيدينا ، وأن يقوي عزائمنا ، وأن يشرح صدورنا ، وييسر أمورنا ، فعليه توكلنا ، وباسمه نبدأ .